أسئلة الثورة السوريّة الملحّة في ذكراها العاشرة.. رؤى سياسيّة وشهادات حيّة

الناشط الحقوقي المحامي فارس مشعل تمو: أسقطنا كلّ مخطّطات افتعال ثورات مذهبيّة وقوميّة

في البداية، لا بدّ من تقسيم الثورة السوريّة إلى ثلاث مراحل: **المرحلة الأولى** هي مرحلة انتصار الثورة شعبيًا وإسقاط الرهبة والخوف من قلوب الشعب السوريّ الذي هتف بصوت واحد بالحرّية، وواجه آلة القمع والقتل والترهيب الأسدي بشكلٍ سلمي، مقدِّمًا أسمى آيات التضحية والإنسانية في طلب الحرّية والكرامة.

المرحلة الثانية، يمكن تسميتها بمرحلة استلاب ثورة الشعب السوريّ وحرف مسارها، حيث تعمّد النظام في هذه المرحلة استخدام كل السبل وفق خطط منهجية مدروسة بعناية، لتحويل تلك الثورة السلميّة إلى ثورة مسلّحة، من خلال تقسيم مكوّنات الشعب السوريّ بحسب الانتماء المذهبي والقومي. وتعامل نظام الأسد مع كلّ مكوّن بإستراتيجية خاصّة، حيث تعمّد استهداف المكوّن السنّي بأبشع الجرائم، وتعمّد نشرها للعلن لإثارة النقمة عليه كنظام طائفي، لدفع السنّة إلى التقوقع الفئوي، وكان في بعض المناطق يتعمّد ترك كميات كبيرة من السلاح لدفعهم لمواجهته بشكلٍ مسلّح تعبيرًا عن الاحتقان وردًا على الجرائم وبشاعتها بحقّ المكوّن السنّي. كما تعمّد النظام إحضار ميليشيّات طائفيّة شيعيّة من خارج الحدود لتواجه المكوّن السنّي السوريّ، وتحت شعار المظلومية السنّية، جلب القوى والتنظيميات الراديكالية المتطرّفة ليس للدفاع عن السنّة السوريّين، بل لقتل كلّ من هتف بالحرّية بوجه نظامه من السنّة، بحجّة أولوية إعلان "الدويلة الإسلاميّة". وساعده في ذلك صمت المجتمع الدولي والإقليمي الذي التزم بالرغبة الأوبامية الأميركية (نسبة إلى الرئيس الأميركي الأسبق **باراك أوباما**) وبإستراتيجيتها في تفعيل سورية كساحة حرب لا ينتصر فيها أحد، وتحقيق مكاسب أميركية من خلالها في ملفات عالقة مع روسيا وإيران، ليتدخل بعدها بعض أطراف المجتمع الدولي والإقليمي كحليف مباشر للأسد، وبعضها تدخل كصديق مفترض للشعب السوريّ. وتجلّت المساعدة الدوليّة سواء من أصدقاء الشعب السوريّ أو من خصومه، من خلال تقديم الدعم والتسهيلات لتنقل كلّ متطرّف ومختل عقلي من مختلف أنحاء العالم إلى سورية، لتحويلها إلى مقبرة نفايات بشريّة دوليّة على الأرض السوريّة، وعلى حساب ثورة الشعب السوريّ. وكذلك الأمر بالنسبة إلى المكوّن الكردي، حيث جلب حليفه القديم حزب العمال الكردستاني التركي من خارج الحدود لقمع الشارع الكردي السوريّ وترهيبه، وقتل واعتقال كلّ من هتف ضدّ نظام الأسد في الشارع الكردي، بحجّة أولوية دويلة "روجآفا". بهذا التقسيم، وُضع الناشطون والفصائل الثوريّة أمام خيارين: إمّا الانحياز إلى التطرّف الديني وإما الانحياز إلى التطرّف القومي، وتم ضربهم ببعضهم لتصفية العدد الأكبر من أنصار الثورة السوريّة من كل المكوّنات السوريّة، وحصر الساحة السوريّة بحروب جانبية قوميّة ومذهبيّة وإبعادها عن دمشق.

أمّا **المرحلة الثالثة** فنحن على أبوابها في الذكرى العاشرة للثورة السوريّة السلميّة، حيث سقطت تلك المخطّطات في افتعال ثورات مذهبيّة وقوميّة لدويلات طوباوية، وانكشفت تلك الألاعيب، وراح ضحيتها مئات الآلاف من أبناء الشعب السوريّ، وكذلك سقطت أقنعة المجتمع الدولي وأكذوبة الأصدقاء والخصوم، وباتت سورية مسرحًا لصراع المصالح الدوليّة والإقليميّة بشكلٍ مباشر. وهذه المرحلة ليست ثورة على نظام الأسد، لأنّه سقط منذ عام 2013. ورسالة الاستنجاد التي أرسلها الأسد حينها للجانب الروسي تؤكّد سقوطه ونهايته، أمّا استمراره الشكلي إلى يومنا هذا، فهو مجرّد حاجة دوليّة، كهيكل محنط بدون سيادة أو قرار. في هذه المرحلة، الشارع السوريّ ضحى بكلّ ما يملك من أرواح ودماء وبات بحاجة إلى ثورة سياسيّة ودبلوماسية، ثورة تكون على قدر المسؤولية في الحفاظ على تلك الدماء الطاهرة التي قدّمتها الثورة السلميّة، حتّى لا تُهدر عبثًا، ثورة سياسيّة تكون بحجم تمثيل آلام وآمال الشارع السوريّ في طلب الحرّية والكرامة، في مواجهة كلّ هذا الثقل الدولي والإقليمي الجاثم على صدره بشكلٍ مباشر. ثورة نتعلم فيها من أخطاء الماضي، ونعلم أنفسنا على أهمّية العمل المؤسّساتي الجماعي للوصول إلى الشكل الأمثل من العمل الوطني السياسي القابل للحياة ولبناء المستقبل. جميعنا ضحايا الوهم الفئوي، وقد آن الأوان لنصحو من هذا الوهم، وندرك بأنّ سورية جيوسياسيًّا غير قابلة للتقسيم، وبأنّ السلم الأهلي والوحدة الوطنيّة هما السبيل الوحيد للخلاص، والوصول إلى دولة مدنية ديمقراطيّة يسودها القانون ويحميها الدستور حتّى تصلح لأن تكون وطنًا جامعًا لكلّ السوريّين على اختلاف مكوّناتهم القوميّة والدينيّة والمذهبيّة، واختلاف مشاربهم الفكرية والسياسيّة والثقافية.